مسيرة الاستقلال الفلسطيني

د. محجوب عمر

انهت الثورة الفلسطينية المعاصرة مسيرة ربع قرن في جهاد متصل ومتصاعد شمل ساحات الحياة كافة، السياسية والعسكرية والاجتماعية والحضارية، ليس فقط في فلسطين ورقعتها الجغرافية، والتاريخية، بل وحياة الأمة العربية كلها والوطن العربي الممتد من المحيط الى الخليج، بالاضافة الى حركة التقدم الانساني على نطاق العالم كله. ومضت هذه الثورة المعاصرة في عامها السادس والعشرين وهي ملء أسماع العالم أجمع، وتدور حولها التحركات العربية، والدولية، وقد أنجزت لشعبها ظهور كيان فلسطيني مستقل، اعترفت به أكثر من مئة دولة في العالم.

وبداية، يمكن اكتشاف أن هذه الحلقة المعاصرة من حلقات الجهاد الفلسطيني هي استمرار لحلقات سابقة عليها، وهي تحمل، منذ بدايتها، سمات وتراث السنين السابقة، بحيث يمكن القول ان الثورة الفلسطينية، بشكل عام، هي، في جانب منها، سلسلة متصلة من الثورات المتتالية، تتراكم نتائجها وتحفر مجراها في ظل ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد، ليس فقط على الساحة الدولية والمحيط العربي، وانما، أيضاً، في فلسطين ذاتها.

قد يبدو تعبير الثورة الفلسطينية شائعاً الآن، ومتفق عليه؛ ولكن واقع الحال منذ ربع قرن لم يكن كذلك. كان القائلون بالثورة الفلسطينية قلّة مطاردة، ومضطهدة، ليس فقط من العدو الصهيوني وسيطرته العسكرية، والفكرية، والدعائية، والاقتصادية، وليس فقط من كل المجتمع الدولي بدوله المسيطرة آنذاك، وانما، أيضاً، من أقسام واسعة من الجماهير العربية، ناهيكم عن الدول العربية.

كانت حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، التي لم يكن يسمع بها الاّ القليلون من النشيطين سياسياً، والعاملين في أجهزة الأمن في الدول العربية المحيطة بفلسطين، قد استطاعت أن تجمع عدداً من الشباب الفلسطيني منذ عدة سنوات (أواخر العام ١٩٥٨)، وأخذت تنادي بضرورة تطوير حلقة جديدة من حلقات الثورة الفلسطينية؛ ولم تكن الظروف في ذلك الوقت تنبىء بأن مثل هذه المحاولة مكتوب لها النجاح، فضلاً عن الاستمرار؛ وكان المشفقون يخشون من أن تؤدي هذه الخطوة الجديدة الى مزيد من المعاناة للشعب الفلسطيني، والى فشل جديد قد يحبط المحاولات الأخرى التي كانت تدعو، في ذلك الوقت أيضاً، الى تحرير فلسطين.

ولقد أُجري جدل كثير، في السنوات الأولى، حول طبيعة هذا التحرك. فمن قائل انهم مجموعة من المغامرين؛ ومن قائل انهم مجموعة من المحبطين؛ ومن قائل انهم أتباع لهذا النظام (!) أو التنظيم العربي، أو ذاك؛ حتى ان البعض اتهمهم بأنهم عملاء للمخابرات المركزية الأميركية. ولم يصدق الكثيرون، او يفكروا بأن ما حاولت «فتح» ان تفعله كان أمراً منطقياً تاريخياً، حسب التعابير